عن بورخيس وترجمة أعمال أخرى عن الفرنسية. يشتغل محمد آيت لعميم أستاذاً للتعليم العالي، ومديراً لمهرجان قصيدة النثر الذي يشرف عليه «مركز الحمراء» ويرأسه زميله الشاعر نور الدين بازين. من مؤلفاته: «بورخيس أسطورة الأدب»، «المتنبي الروح القلقة والترحال الأبدي»، «القراءة لفانسون جوف»، «قصيدة النثر: في مديح اللبس»، «بورخيس صانع المتاهات». كما يصدر له قريباً «قصيدة النثر العربية، إيقاع المعنى وذكاء العبارة» وترجمة لكتاب بيار بايار «كيف نتحدث عن كتب لم نقرأها». عقب اختتام «مهرجان قصيدة النثر» في أجواء جميلة جمعت بين الشعر والجاز حيث قرأ الشعراء وغنوا ورقصوا أيضاً، التقينا بمحمد آيت لعميم وفتحنا معه النقاش حول راهن الكتابة والترجمة، وعما إذا كان المغرب فعلاً بلد نقد، وعن سرّ ميل النقاد المغاربة إلى السرد على حساب الشعر.

ات» بورخيس
أرض السرد أسعفت اللغة الروائية

أهدافها، فما كان ينقص الترجمة هو ترجمة النصوص الإبداعية، وقد لوحظ في الآونة الأخيرة انفتاح المغاربة على ترجمة بعض النصوص الروائية بتكليفات من دور نشر انتبهت لحرفية التراجمة في المغرب. لكن يبقى الفعل الترجمي في المغرب ضئيلاً وبطيئاً يقوم به أفراد ولا تحتضنه مؤسسات كبرى بمشاريع واستراتيجيات واضحة.

■ يفترض أن المغرب بلد قريب جغرافياً وتاريخياً لإسبانياً. لكننا نحسّ أنه ليس بلداً رائداً في ترجمة الأدب الإسباني سواء القديم أو الراهن. بل هو على العكس منشغل دائماً بترجمة نتاج الثقافة الفرنسية. أعرف أن السياق الكولونيالي حاضر هنا، لكن ماذا عن الجارة إسبانيا؟ وماذا عن البرتغال أيضاً التي كانت هي الأخرى بلداً مستعمراً للمغرب في فترة معينة؟

بخصوص ترجمة الإبداع في المغرب، أريد أن أشير إلى أنّ ما ترجم في البداية كان من اللغة الإسبانية، فمن النصوص الأولى التي ترجمت في الثلاثينيات رواية دون كيخوتي لـ «سرفانتس» أنجزها التهامي الوزاني صاحب أول رواية سيرية مغربية بعنوان «الزاوية»، وبورخيس في ما بعد ترجمه إبراهيم الخطيب، وترجم أيضاً أعمال خوان غويتوسولو، في حين ترجم الشاعر المهدي أخريف لاحقاً أعمال بيسوا عن البرتغالية «راعي القطيع» و«اللاطمأنينة» و«يوميات»، وترجم لأكتافيو باث «اللهب الأزرق». واستأنف الترجمة عن الإسبانية كل من الشاعر خالد الريسوني والشاعر مزوار الإدريسي وبنعبد الواحد الذي ترجم أنطولوجيا القصة القصيرة جداً، نشرت ضمن مجموعة البحث للقصة القصيرة. إن ترجمة الإبداع في المغرب من نصيب اللغة الإسبانية، وترجمة النقد والفكر من نصيب الفرنسية. لكن ما ينقصنا هو الترجمة عن الإنكليزية والألمانية. وكم كثيرة هي الأشياء التي لا نطلع عليها إلا بعد فوات الأوان.

■ كيف تقرأ حركة الكتابة الروائية في المغرب اليوم قياساً مع العقود السابقة؟ لا أقصد الحضور والتداول فقط، وإنما تحولات الكتابة نفسها: التيمات والتقنيات؟

إن الحديث عن الرواية المغربية يقودنا إلى الإشارة إلى أنّها جنس فتي لم تراكم ما فيه الكفاية من نصوص. بداية الرواية المغربية كانت مرتهنة لسؤال الهوية وللأسئلة السياسية والأيديولوجية للمرحلة كانت فيها الرواية تكتب بواقعية سطحية في الغالب، ولقد كانت الرواية المغربية تضيق الخناق على نفسها، ولا تتنفس هواء يأتيها من جهات العالم. هذا الوضع نلمس أنه بدا يتغير، لا سيما أنّ الرواية المغربية بدأت تطرح سؤال الكتابة كسؤال جوهري لتطورها. وكان هناك انتباه لنواقص الرواية في المغرب، فبدأنا نلمس تحولات في التيمات والتقنيات. ظهرت عندنا رواية الجبل مع أحمد التوفيق وطارق بكاري، رواية البحيرة والنهر مع اسماعيل غزالي، الرواية المناقبية والعرفانية مع بنسالم حميش وأحمد التوفيق وعبد الإله بن عرفة، وروايات سنوات الرصاص والمصالحة عند كل من أحمد لويزي ويوسف فاضل. وقد تفاعلت الرواية أيضاً مع التشكيل والأوساط الثقافية الأوروبية والأميركية كما فعل حسن نجمي في «جيرترود»، وأيضاً كما كتب محمود عبد الغني في «معجم طنجة». وبدأت الرواية المغربية تتجاسر لتعرية أعطاب الشخصية المغربية كما هو الحال في رواية «المغاربة» لعبد الكريم الجويطي، و«هوت ماروك» لعدنان ياسين. وهناك ميسم آخر أسهم في تطوير اللغة الروائية في المغرب هو هجرة الشعراء إلى أرض السرد، فقد حملوا معهم كل طاقاتهم الشعرية وشحنوا بها عوالمهم التخييلية، فللشعر ترفع القبعة.

■ وأنت تورد قبل قليل أسماء نخبة من نقاد المغرب، ماذا أيضاً عن حركة النقد؟ هل تؤمن فعلاً بأن المغرب بلد نقد؟

ما يميز النبوغ المغربي منذ القديم إلى اليوم هو النزوع نحو الاستنباط، والميل إلى البحث عن الغرابة والمختلف، منذ ابن رشد والشاطبي وابن طفيل وابن البناء وحازم القرطاجني والسجلماسي، وصولاً إلى الجابري والعروي وطه عبد الرحمان وكيليطو وسعيد بنكراد وعبد السلام بنعبد العالي ومحمد مفتاح وسعيد يقطين ونور الدين أفاية ومحمد الدكالي وعبد الإله بلقزيز. واللائحة طويلة لقامات فكرية مؤثرة بصمت في المشهد الفكري والنقدي في العالم العربي. هذا النزوع النقدي متأصل في البنية الذهنية المغربية، ما ينقصه هو عقلية الخلف وتأسيس مدارس، مما يؤثر سلباً في الاستمرارية. ومع ذلك، هناك أسماء لها وزنها في الساحة اليوم وتسعى إلى أن تترسخ وتقنع.

> **الرواية المغربية جنس فتي لم تراكم ما فيه الكفاية من نصوص**

> **تمتع بورخيس بموسوعية الجاحظ، وملحمية المتنبي وريبية المعري، وتحدث عن الغزالي وابن رشد وعن إخوان الصفا وعن «منطق الطير»**

■ مال جميع النقاد تقريباً لنقد السرد، الرواية تحديداً. أنت من القلائل الذين انشغلوا بنقد الشعر، وقد ألّفت عنه كتابين مهمين. ما السر في اختيارك؟

بخصوص انشغال النقد المغربي بالسرد قديمه وحديثه، هذا الأمر خرج من الجامعة ومن شعب المناهج، لا سيما أنّ الآليات النقدية التي تم التعامل معها كانت تنتمي إلى حقل السرد. وبذلك تم توجيه البحث في النصوص السردية القديمة وفي الرواية لتجريب فعاليات المناهج والنظريات السردية. لست الوحيد الذي اهتم بالشعر وحده، فاهتمامي متعدد. لدي اهتمام بالشعر والسرد، واشتغلت على المتنبي من منظور نظرية التلقي ونقد النقد، محاولاً بذلك الإجابة عن سؤال استمرارية المتنبي في الزمن، وأيضاً تقويم الحصيلة النقدية حوله في الزمن المعاصر، وتمدداته في التجارب الشعرية العربية الجديدة. كنت منشغلاً في الأساس بمفهوم القراءة وإعادة القراءة، وكان لبورخيس دور كبير في توجيهي صوب هذا الموضوع، وأيضاً قراءتي لكتاب إيتالو كالفينو (لماذا نقرأ الأعمال الكلاسيكية؟). فاشتغالي بشعر المتنبي، في كتابي «المتنبي الروح القلقة والترحال الأبدي»، كان مرتبطاً بنظرة تجديدية للنظر في المدونة النقدية التي تراكمت عبر سنوات من القراءة.

■ ما السر في اختيار قصيدة النثر كموضوع لإنجاز أطروحتك المهمة؟ هل يتعلق الأمر بانتصار لجمالية معينة؟

يعود اهتمامي بقصيدة النثر إلى عام 1988 حين امتحنت فيها في مباراة السلك الثالث في «جامعة محمد الخامس» في الرباط من خلال الفصل الذي هاجمت فيه نازك الملائكة القصيدة وخونت كتابها. منذ ذلك الحين وأنا أتعقب مقترفيها، فأدمنت على قراءتها رغم شح منشوراتها السرية. قرأت المغوط، حسين مردان، عقيل علي، جماعة كركوك (مؤيد الراوي، صلاح فائق، سركون بولص، جان دمو)، وديع سعادة، ديوان «لن» و«الرأس المقطوع» لأنسي الحاج. قرأت «مهن القسوة» لبسام حجار، «مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور» لسيف الرحبي، «دفتر سيجارة» لبول شاوول، «ممر معتم يصلح للرقص» لإيمان مرسال، «أثر العابر» لأمجد ناصر، «حياة صغيرة» لحسن نجمي، «على درج المياه العميقة» لمبارك وساط، «دفاتر الخسران» و«أبداً لن أساعد الزلزال» لأحمد بركات، «حجرة وراء الأرض» لمحمود عبد الغني، «هدنة ما» لحسن الوزاني، «لا أحد في النافذة» لعزيز أزغاي، «مانكان» لياسين عدنان، «مثل أربعاء قديم» لسعد سرحان، «أخيراً وصل الشتاء» و«أنظر وأكتفي بالنظر» لعبد الرحيم الخصار. وقرأت كل ما تحصلت عليه من مجلات ومنشورات: «الأربعائيون»، «جراد»، «إضاءة77»، «فراديس»، الغارة الشعرية»... بعد هذا التراكم والاستئناس بعوالم القصيدة، فكرت في أن أنجز أطروحة دكتوراه، وكانت القصيدة لمّا تدخل إلى مؤسسات الجامعة إلا نادراً. وجدت في «جامعة سيدي محمد بن عبد الله» في فاس أستاذاً غاية في الفهم هو د.أحمد زكي كنون. لم يتردد حين اقترحت عليه الموضوع، فأنجزت أطروحة سميتها «قصيدة النثر العربية: إيقاع المعنى وذكاء العبارة» نالت إعجاب اللجنة التي ناقشتني لمدة ست ساعات مسترسلة.

■ تديرون ملتقى لقصيدة النثر. هل هذا ترجمة ميدانية لأفق انشغالكم النقدي؟ وما الذي قدمه هذا الملتقى لقصيدة النثر؟

بعد حصولي مباشرة على الدكتوراه، أسسنا «مركز الحمراء للثقافة والفكر» بمعية نور الدين بازين ومنتصر دوما ومحمد بندوري، وتكلفت بإدارة الملتقى الدولي الأول لقصيدة النثر تحت شعار «قصيدة النثر والوعي الحر» شارك فيه شعراء من دول عربية وأوروبية ومن المغرب ومجموعة من النقاد. نجاح الدورة الأولى جعلنا نتشبث بهذا المنجز، فأقمنا الدورة الثانية، دورة محمد الماغوط. لقد كان لهاتين الدورتين وقع كبير جعل المجتمع الثقافي يثق في مشروعنا بعيداً عن الادّعاء والمهاترات. نفخر أنّه من خلال هاتين الدورتين، أنجز شعراء ونقاد أطاريح دكتوراه حول قصيدة النثر من أمثال الباحث محمد العناز، ورشيد الطالبي اللذين حضرا أشغال الدورتين. وللإشارة، فالجمهور الغفير الذي صاحبنا تعرف مباشرة إلى قصيدة النثر، وأسرّ لنا كثيرون أنّ ما سمعوه هو الشعر، لأنه فاجأهم بذائقة جديدة لم يكن لهم قبل بها. أما الدورة الثالثة، دورة سركون بولص، فكانت مفاجأة السنة، لم يخطر في بالنا أنها ستحقق مثل هذا النجاح المبهر. الشاعرات الأميركيات قدمن شعراً عميقاً، وقد أصبن بصعقة الاندهاش أمام أصوات الشعراء المغاربة والعرب الذين كانوا في الموعد، ناهيك عن الفضاءات التي قرئ فيها الشعر «قصر الباهية» الخلاب و«رياض الجبل الأخضر» الحميم. لقد قدم ملتقى قصيدة النثر الكثير لشعراء هذا النمط في الكتابة، لا سيما أنّ الندوات النقدية توجهت نحو معاينة النصوص للنفاذ إلى جوهر جمالية هذه القصيدة، والابتعاد عن المناقشات البيزنطية العقيمة.

■ أنت من الذين يؤكدون على ضرورة التسلح بالمعرفة النظرية للجنس الأدبي الذي يختاره الكاتب، والاستناد أيضاً إلى مرجعية قرائية لمتنه الإبدعي. ألا ترى أنّ الموهبة وحدها تكفي؟

إن التزود بالمعرفة شرط ضروري لإبداع نصوص ستصمد أمام تعرية الزمن، فالموهبة وحدها لا تكفي، ولنا في تاريخ الكتابة شواهد لا يكذبها أحد. فالقراء الكبار وأصحاب المواهب والذكاءات هم الذين بصموا تاريخ الكتابة، وكانت لديهم القدرة الهائلة على تغيير مسارات الكتابة والأدب والتفكير. فقد يكتب إنسان موهوب بدون مرجعية حقيقية وقد يعجبنا ما يكتب، لكن سرعان ما تذهب ريحه ورائحته. ذلك أنّ الكتابة تتغذى على الكتابة، والكتابة الحقيقية هي في جوهرها إعادة كتابة.